الفصل الأول

دور الملك عبد العزيز
مؤسس كيان المملكة العربية السعودية
في توحيدها وجمع شملها

١ـ تمهيد عن الدو لة السعودية في أطوارها الثلاثة.

٢ـ الأوضاع العامة قبل فتح الرياض.

٣ـ الملك عبد العزيز، حياته المبكرة ومكوناته التاريخية وأثرها في تكوين شخصيته.

الدولة السعودية في أطوارها الثلاثة

يتفق المؤرخون على تقسيم تاريخ الدولة السعودية إلى ثلاثة أدوار [1] هى:

الدور الأول:

ويبدأ من عام ١١٥٧هـ (١٧٤٤م) وهي السنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى بلدة الدرعية، واتفق مع أميرها محمد بن سعود على تأييد دعوته وبذلك تأسست الدولة السعودية الأولى واستمر هذا الدور مدة تناهز ٧٥ عاما تقريبا، وتولى الحكم في هذه المدة أربعة من كبار مؤسسي الدولة السعودية وهم:

- الإمام محمد بن سعود، (١١٣٩ - ١١٧٩هـ) (١٧٢٦ - ١٧٦٥م)
- الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، (١١٧٩ - ١٢١٨هـ) (١٧٦٥ - ١٨٠٢)
- الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، المعروف بسعود الكبير، (١٢١٨ - ١٢٢٩هـ) (١٨٠٣ - ١٨١٧م)
- الإمام عبد الله بن سعود، (١٢٢٩ - ١٢٣٣هـ) (١٨١٣ - ١٨١٧م)

وينتهي هذا الدور في عام ١٢٣٣ هـ (١٨١٧م) عندما دفعت الدولة العثمانية بالحملة الثالثة على الجزيرة العربية بقيادة إبراهيم باشا.

---

(١) خير الدين الزركلي/ شبه الجزيرة العربية فى عهد الملك عبد العزيز/الجزء الأول/ دار العلم للملايين/ الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، وانظر د. منير العجلاني/ تاريخ البلاد العربية السعودية/بيروت، وانظر د. ابراهيم جمعة. الأطلس التاريخي للدولة السعودية/ مطبوعات دارة الملك عبد العزيز ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

الدور الثاني:

ويبدأ من عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م)، وهى السنة التي استولى فيها الإمام تركي بن عبد الله على مدينة الرياض، وحرر سائر بلدان نجد من سيطرة محمد علي باشا والي مصر آنذاك.

في فترة الانتقال من الدور الأول من تاريخ الدولة السعودية إلى الدور الثاني، كانت الجزيرة العربية وخاصة نجد تعاني من ويلات نكسة دامت قرابة ست سنوات، عمت البلاد خلالها الفوضى والاضطراب، وذلك من جراء سقوط الدرعية بيد إبراهيم باشا وتخريبها وتهديمها بعد حصار طويل أبلى فيه أهلها بلاء حسنا، وهكذا كانت بداية الدور الثاني حركة مقاومة للاحتلال استمر هذا الدور مدة (٧٥) عاما، تناوب على حكم البلاد خلالها ثمانية أمراء، هم:

- الأمير مشاري بن سعود الكبير، (١٢٣٥هـ-١٨١٩م).
- الأمير تركي بن عبد الله (للمرة الأولى)، (١٢٣٥ - ١٢٣٦هـ) (١٨١٩ - ١٨٢٠م).
- الإمام تركي بن عبد الله (للمرة الثانية)، (١٢٤٠ - ١٢٤٩هـ) (١٨٢٤ - ١٨٣٣م)
- الإمام فيصل بن تركي (للمرة الأولى)، (١٢٥٠ - ١٢٥٤هـ) (١٨٣٤ - ١٨٣٨م)
- الأمير خالد بن سعود، (١٢٥٤ - ١٢٥٧هـ) (١٨٣٨ - ١٨٤١م).
- الأمير عبد الله بن ثنيان، (١٢٥٧ - ١٢٥٩هـ) (١٨٤١ - ١٨٤٣م).
- الإمام فيصل بن تركي (للمرة الثانية) (١٢٥٩ - ١٢٨٢هـ)(١٨٤٣ - ١٨٦٥م)

- الإمام عبد الله بن فيصل، (١٢٨٢ - ١٢٨٦هـ) (١٨٦٥ - ١٨٦٩م)
- الإمام سعود بن فيصل (نازع آخاه عبد الله الحكم خلال الفترة من عام ١٢٨٢ - ١٢٩١هـ) (١٨٦٥ - ١٨٧٤م) وانفرد كل منهما بالحكم خلالها.
- الإمام عبد الرحمن الفيصل، (١٣٠٦ - ١٣٠٨هـ) (١٨٨٩ - ١٨٩١م).

لم تدم ولاية الإمام عبد الرحمن الفيصل إلا سنتين تقريبا حيث استولى محمد بن عبد الله بن رشيد - أمير حائل - على الرياض وضمها إلى إمارته، ورحل الإمام عبد الرحمن الفيصل إلى الكويت هو وأسرته وبذلك انتهى الدور الثاني من أدوار الدولة السعودية.

الدور الثالث:

ويبدأ من عام ١٣١٩هـ (١٩٠٢م) وهو العام الذى فتح فيه الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود الرياض حيث انطلق منها إلى توحيد أجزاء البلاد تحت راية التوحيد حتى تم له بعون الله وتوفيقه تأسيس المملكة العربية السعودية.

إن سيرة الملك عبد العزيز تبهر بجلالها كل من يقرؤها، لأنها سيرة إنسان فذ، تمثلت فيه معاني البطولة والإنسانية.

لقد دخل الملك عبد العزيز التاريخ بعد أن صنع هو أحداث ذلك التاريخ بما وهبه الله من شخصية فذة وذكاء فطري، وإرادة حديدية، قلّ أن تجتمع لرجل واحد.

٢ - الأوضاع العامة قبل فتح الرياض.

ولد الملك عبد العزيز، رحمه الله في ذي الحجة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦)[١]، وقد عاش عمره في تأسيس المملكة وتوحيدها .

ففي الخامس من شهر شوال ١٣١٩ هـ ، خرج جلالة الملك عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود بعد أن عاصر الأحداث الأليمة مجاهداً في سبيل الله ساعياً وعاملاً على توحيد أجزاء متناثرة من شبه الجزيرة العربية، وتكلل جهاده وسعيه بنصر الله. ويروي خير الدِّين الزركلي في كتابه شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز[٢] عن بيلي ويندر في حديث له عن العوامل التي ساعدت على توطيد الحكم السعودي قائلاً: «إن توحيد الجزيرة العربية في عهد المملكة العربية السعودية نشأ عن ثلاثة عوامل رئيسة لكل واحد منها شأن:

العامل الأول: عاهلها ذو الشخصية القوية والشجاعة الفائقة والنظر الثاقب الملك عبد العزيز الذي خاض المعارك وتغلب على الصعاب لتوطيد أركان ما كسبت يداه .

العامل الثاني: إن من الحقائق التي قل من يدركها «قيام نوع من الحكم في الجزيرة طيلة القرن الماضي كانت فيه موحدة قوية في بعض الأحيان ومنقسمة على نفسها ضعيفة في أحيان أخرى، فلما استقبل أهلها القرن العشرين كانوا قد ألفوا الحكم والحكومة، وهان عليهم قبول فكرة الوحدة التي يتطلبها

---

(١) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، للزركلي، جـ ١ ، ص ٥٨

(٢) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز - الجزء الأول - ص ١١٠ - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين/ الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.

العصر ،ثم قال واحداً ربما كان هذا من أهم العوامل وهو الثالث، يأتي إدخال الأسلحة الحديثة ووسائل النقل العصرية في حياة الجزيرة.

وختم القول «واتحاد هذه العوامل الثلاثة يجعل المرء يعتقد أن الجزيرة العربية لن تعود القهقرى إلى حالة الفوضى، وأن للدولة السعودية من الضمانة ما يكفل استمرار سلطانها ومنعتها».

٣ ـ الملك عبد العزيز ، حياته المبكرة وأثرها في تكوين شخصيته.

منذ أن أشرقت من هذه البلاد أنوار التوحيد وهي تزخر بالخير والعطاء والفضيلة، ولا غرو فهي مهبط الوحي ومهد الرسالة ومنطلق النور وموئل الإشعاع ومقدسات الإسلام ومنبت لغة الضاد وركيزة المفاخر والمآثر ومنبع الهدى والبيان، ولقد مرت بمراحل تقوض فيها صرح تلك المآثر في فترة من الزمن.

لقد قيض الله لها من أبنائها المصلحين من رزقهم الله إيماناً وعزيمة وجلداً وصبراً، وهبوها بعد توفيق الله كل تضحية وإصلاح وعمل وصبر وجهاد على مدى التاريخ، ولقد سلك الملك عبد العزيز –رحمه الله– طريق الدعوة إلى الله ومناصرة الحق والعدل والذب عن العقيدة، واتخذ القرآن منهجاً وسلوكاً وعزة ورفعة، وانطلق يحمل شعار التوحيد ويحكم بالقرآن والسنة، يطبق شريعة الله الخالدة، واستمرت تلك الخطوات الموفقة على قواعد من الإيمان يخفق في سمائها لواء التوحيد، فأسس مملكته الزاهرة وقاد سفينتها نحو الخير والإصلاح والإنشاء والاستقرار ونشر العلم وبث أنوار المعرفة، وحفلت سيرته وحياته بالجهاد والبناء والعطاء. فلقد سخر جهوده في خدمة الدين والأمة وركَّز اهتمامه على قضايا الإصلاح

والأمن والوحدة والنهضة والبناء والتعليم ونشر الثقافة وإحياء تراث السلف الصالح بالتحقيق والطبع والتوزيع والاهتمام بالعلم والمعرفة، فقد كان رجل عقيدة فجاءت إصلاحاته مستمدة من عقيدته الإسلامية.

وإن تاريخه لهو تاريخ أمة، وستظل سيرته معيناً ينهل منه الباحثون والمفكرون والمؤرخون أمداً طويلاً. حيث إنها حافلة بالبطولات والإنجازات وتطبيق الشريعة ورفع شأن الإسلام والمسلمين.

فهو عَلَمٌ شامخ ورائد من رواد الحضارة الإسلامية وقائد من قادة التاريخ الإنساني وإن تاريخه من الثراء والتنوع والامتداد، الأمر الذي يتطلب دراسات وافية شاملة، تقف على حقائق تاريخه وتتعرف على خصائص شخصيته، ولعل هذا التاريخ الثري جدير بالدراسة والاهتمام وتأكيد أبعاد شخصية الملك عبد العزيز والكشف عن حقيقتها. فقد وفق اللهُ الملك عبد العزيز إلى توحيد هذه المملكة، وجمع شملها، والعناية بتطبيق الشريعة الإسلامية وتحكيمها، والعمل على الوحدة والائتلاف والاعتصام بحبل الله، وقد وفق الله الملك عبد العزيز إلى السير على هذا النهج فكان التوفيق والنجاح والاستقرار والإصلاح، والحفاظ على راية الإسلام خفاقة وإعلاء كلمة الله والالتزام بشريعته والأخذ بأوامره واجتناب نواهيه، فترسخت بذلك المثل العليا والقيم السامية التي يحث عليها الإسلام وقد جعل الملك عبد العزيز سيادة الأمن والأمان من بين أوائل اهتماماته، حيث قضى على الفوضى والظلم والشر والعدوان وقطع الطريق، ومازال الأمن – بفضل الله– يشكل سمة مميزة لهذه البلاد.

ومازالت السيرة التاريخية للملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ مثار دهشة ومحل إعجاب لعدد كبير من المؤرخين والباحثين والدَّارسين، فهي

ميدان خصب للدراسات في مجالات شتى، فالأعمال والإنجازات كانت عملاً عظيماً، تكوَّن منه تاريخه وسيرته الزاهرة. لقد كتب الكثيرون عن تاريخ جلالته، وجوانب من شخصيته وإنجازاته وانتصاراته، ومع ذلك لا يزال هناك جوانب عديدة من شخصيته وتاريخه لم تبرز بعد بالقدر الكافي، فقد كان ـ رحمه الله ـ قائداً عسكرياً فذّاً ومصلحاً وداعية وسياسيا محنّكاً، حقاً فما زال تاريخه يحفل بالعبرة والتجربة الثّريّة، وما تزال صور البطولة فيه أبرز الصور وأبهرها وأكثرها أسراً للنفس.

وفي مجال القيادة والبطولات التي لها طابعها وروحها ما تزال حية إيجابية قوامها الخُلقُ والإيمان بالله. إن النبتة التي بذرها الملك عبد العزيز غدت في كل مجال نبتات مخصبات، بل غدت حقولاً واسعة، وأعتقد أن دور مراكز البحث والجامعات مهم في دراسة تاريخ بلادنا وموحدها وجامع شملها، والعمل على دراسة التاريخ واستخلاص العبرة والمنافع والأيام والوقائع منه.

إنّ حياة الملك عبد العزيز مليئة بصور شتى ودروس وعبر جمة، وإن أهم قاعدة قام عليها هذا الجهد العظيم، هو توحيد هذه البلاد المترامية الأطراف، والذي أصبح فيما بعد يعتبر فريداً في نوعه وتكوينه وواقعه، حتى أصبح مثلاً عالياً في نعمة الأمن والرخاء ورغد العيش والتمسك بالعقيدة الإسلامية الصافية النقية التي لا مرية فيها ولا شائبة.

وبرزت المملكة العربية السعودية في ١٢/٥/١٣٥١هـ، وظهرت معلية كلمةَ التوحيد، حيث قامت على جوهر الإسلام، مُحكمة شريعة الله في كل الأمور وجميع الشؤون ومختلف نواحي الحياة، ومنذ ذلك التاريخ وُضع الحجر الأساسي لتأسيس المملكة العربية السعودية.

ومن هذا المنطلق يشهد التاريخ أن تطبيق الشريعة كان مبدأ أساسياً في حياة الملك عبد العزيز، ـ رحمه الله ـ استطاع بحكمته وبعد نظره إقامة هذا الكيان الشامخ في بلد شاسع الأرجاء على أسس موضوعية حققت التكامل المبني على المثل السامية والغايات النبيلة، فكان رائداً ورمزاً للعرب والمسلمين، بنى لهم الوحدة والمجد والفخر والخير والعزة على أساس الدين والأخلاق، فصنع تاريخ هذه الأمة المجيدة بأعماله الكبيرة في حقبة تاريخية دقيقة جديرة بالتامل والدراسة والاستيعاب، ولقد كان ـ رحمه الله ـ رجلاً ذكياً، تعامل مع القوى الخارجية المؤثرة بحذر شديد.

وفي سيرة الملك عبد العزيز وتاريخه سيرة أمة تحولت إلى الحياة والألفة والإيمان والبناء والنظام؛ فهو تاريخ مجيد، ومن حق التاريخ أن يرعى حقه؛ فقد ترك تاريخاً وتراثاً مجيداً وصفحات ناصعة بجمالها وجلالها وسماتها، غنية بالعطاء وثرية بالسمو والمعاني والمزايا الخالدة والمثل الأخلاقية العليا.

إن الملك عبد العزيز يعد بحق أحد صانعي التاريخ الحديث؛ فقد حقق إنجازاً بالغ الأهمية في تاريخ هذه البلاد وبنى دولة عصرية ذات مكانة عالمية ، فالملك عبد العزير لم يكن حاكماً فحسب، بل كان قائداً عسكرياً ومصلحاً اجتماعياً وداعية إسلامياً وسياسياً محنكاً.

وحينما نتعرف على الكيفية التي أتم بها الملك عبد العزيز توحيد هذا الكيان على أساس من العقيدة الإسلامية فإننا نجده قد حصر على تطبيق الشريعة وأحكامها. فكان نصر الله الذي وعد به عباده المؤمنين ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾(١) وبهذه النية الصادقة

---

(١) سورة محمد ـ آية : ٦

والالتزام المطلق بمنهاج الشريعة وتطبيقها، توحدت المشاعر وسادت الطمأنينة وتحققت آمال هذه البلاد، وانطلق يحمل شعار التوحيد ويتخذ القرآن منهجاً وسلوكاً، وهكذا سار على هذا المنهج.

إن تاريخ الملك عبد العزيز هو تاريخ أمة تحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية في حياتها وسلوكها ومنهجها، فهو من ذوي النفوس الكبيرة والطموحات التي لا تقف عند حد، فهو كما قال المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبـــــارا تعبت من مرادها الأجســـام

أو كما قال

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

فما أنجزه الملك عبد العزيز نموذج فذ رائع، بل ملحمة تاريخية بالغة التأثير حتى تبوأت المملكة موقعها البارز على خريطة العالم.

ويحتم الواجب علينا أن نقف وقفة تأمل في كيفية تأسيس هذا الكيان العظيم، ومن كان له الفضل ـ بعد الله ـ في إيجاد وحدة نموذجية بين أفراد هذا الوطن الأبي وصهرهم في بوتقة واحدة، وصنع منهم شعبا له كيانه واستقلاليته بعد أن كانوا في السابق قبائل وفئات إن لم يختلفوا لم يتحدوا .

ولقد وفَّق الله الملك عبد العزيز إلى الوحدة والائتلاف والاعتصام بحبل الله والجري على هذه السنن فاكتملت له كافة مقومات النجاح والتكامل، وتوحيد هذه البلاد، وبناء كيانها على أساس قوي مكين وفي ظل منهج إسلامي وعقيدة صافية.